

العبرة من فن تربية صغار الصحابة بالمدرسة النبوية الشريفة

1.....	المناسبة و الغرض من هذه الورقة
1.....	فضل مجالس العلم و شرف مهنة التعليم
2.....	العناية بتعليم صغار السن
3.....	التوزيع الفطري و العادي للمؤهلات الجسمية و الذهنية بين الناس في كل الأعمار
6.....	ثمار التربية و التعليم بالمدرسة النبوية الشريفة
6.....	(1)الحفظ و العلم و الفقه
6.....	(2)التربية الخلقية و السلوك المدني و الاجتماعي
7.....	(3)الدعاء بالخير لا يعفي من الأخذ بالأسباب
7.....	(4)القيام بواجب التبليغ
7.....	العبر من التربية بالمدرسة النبوية الشريفة
9.....	الخلاصة

المناسبة و الغرض من هذه الورقة

هذا الموضوع هو أحد فصول مدونتي¹ تحت عنوان "الاستخفاف بعقول التلاميذ و تبعاته". و هو موضوع جد مهم لكل الآباء و الأمهات و لكل مشاريع آباء و أمهات و لرجال و نساء التعليم. حملت و لا زلت أحمل هذا الهم من بعد تجربة عمر كامل، قضيتها في تعليمنا العمومي كتلميذ ثم كطالب ثم كمدرس ثم كمدير مدرسة و أخيرا و بعد تقاعدي اليوم كطالب من جديد.

و بتتبعي لمواد الدراسات الإسلامية اكتشفت أن العديد من الصحابة رضوان الله عليهم و الذين عُرفوا بالعلم الغزير و بالفضل الكبير على هذه الأمة، تربوا و تعلموا بالمدرسة النبوية الشريفة في سن جد مبكرة و تخرجوا منها أيضا صغارا عمرا و لكن كبارا قدرا و علما و فقها. و تأسى بتلك المدرسة الصحابة رضوان الله عليهم من بعد وفاته صلى الله عليه و سلم، و سار على دربهم التابعون و تابع التابعين رحمهم الله. و أود استخلاص بعض الدروس من منهجية المدرسية النبوية الشريفة من خلال سيرة عبد الله بن عباس رضي الله عنه و هو أحد خريجيها من صغار الصحابة رضوان الله عليهم. فماذا جاء في حديثه صلى الله عليه و سلم عن فضل مجالس العلم و التعليم؟ ثم ما الذي أثيرَ عنه رضي الله عنه في العناية بتربية و تعليم صغار الصحابة رضوان الله عنهم؟ و ما هي أخيرا ثمار تلك التربية بالمدرسة النبوية و ما هي العبر الواجب استخلاصها منه من أجل إصلاح تعليمنا؟

فضل مجالس العلم و شرف مهنة التعليم

جاء في سنن الدارمي² عن فضل العلم و العالم و التعليم:
" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِمَجْلِسَيْنِ فِي مَسْجِدِهِ فَقَالَ كِلَاهُمَا عَلَى خَيْرٍ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ الْفَقْهَ أَوْ الْعِلْمَ وَيَعْلَمُونَ الْجَاهِلَ فَهُمْ أَفْضَلُ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا قَالَ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِمْ
" و من فوائده :

¹ و عنوان هذه المدونة على الشبكة هو التالي : <http://reformenseignement.over-blog.com>

² هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن برهام الدرامي السمرقندي ، المتوفى : سنة 255هـ ، قال ابن حجر : وأما كتاب (السنن) المسمى : بمسند الدرامي ، فإنه ليس دون (السنن) في المرتبة بل لو ضم إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجه فإنه أمثل منه بكثير ، إلا أن مسند الدرامي كثير الأحاديث المرسله والمنقطعة والمعضلة والمقطوعة.

- (1) فضل مجلس العلم على مجلس الدعاء لقوله ﷺ " وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ الْفِقْهَ أَوْ الْعِلْمَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ فَهُمْ أَفْضَلُ "
 (2) تشريف مهنة التعليم لقوله ﷺ " وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا "

العناية بتعليم صغار السن

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ¹ قَالَ : " ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ » "2
- وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ³ أَيْضًا قَالَ : " ضَمَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ » "3
- وَ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: « مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟. « فَأَخْبَرَ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » "4
- وَ عَنْهُ دَائِمًا أَنَّهُ قَالَ⁵ : " تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ خَمْسٍ عَشْرَةَ سَنَةً "6

و من فوائد كل هذه الأحاديث، فيما يعيننا هنا بالمدرسة النبوية الشريفة كنموذج في التربية و التعليم، ما يلي :

- (1) **صغر سن الطفل لا يعني صغر العقل كما يتوهم الكثير من الناس و من بينهم علماء التربية المرموقين، فيقع الإفراط في تبسيط المواد و المعرفة الملقنة بالمدرسة.** فمن قول ابن عباس⁷ " تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ خَمْسٍ عَشْرَةَ سَنَةً " و الأرجح أنه كان ابن ثلاثة عشر سنة إذا ما صح ميلاده في السنة الثالثة ما قبل الهجرة. فيفهم من هذا الحديث أنه ظل يتردد على المدرسة النبوية بالمدينة المنورة و لازم فيها رسول الله ﷺ في سن جد مبكرة.
- (2) و جوب تعليم صغار السن من الأطفال العلم و المعرفة التي تُعَلَّم للكبار من دون تمييز و ليس فقط القراءة و الكتابة و الحفظ. ففي قوله ﷺ : « اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ » قال الحافظ ابن حجر⁷ : " **والمراد بالكتاب هو القرآن الكريم، لأنه إذا أُطلق الكتاب انصرف إليه من دون غيره.** **والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه** " و النتيجة هو أن ابن عباس⁷ لم يحفظ القرآن الكريم فقط بل فهمه و هو صغير. و في قوله ﷺ في الرواية الثانية " « اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ » " قال الحافظ ابن حجر: " **المراد بالحكمة السنة المطهرة** "، وكان من المكثرين من رواية الحديث وأحد العبادة من فقهاء الصحابة. فكان إليه المرجع في تفسير القرآن الكريم وفي الفقه وغير ذلك.

¹ فهو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية . و ولد و بنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنوات

² أخرجه البخاري في كتاب العلم من باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب 29/1 .

³ أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة من باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما 34/5.

⁴ أخرجه البخاري - كتاب الوضوء - باب وضع الماء عند الخلاء 48/1

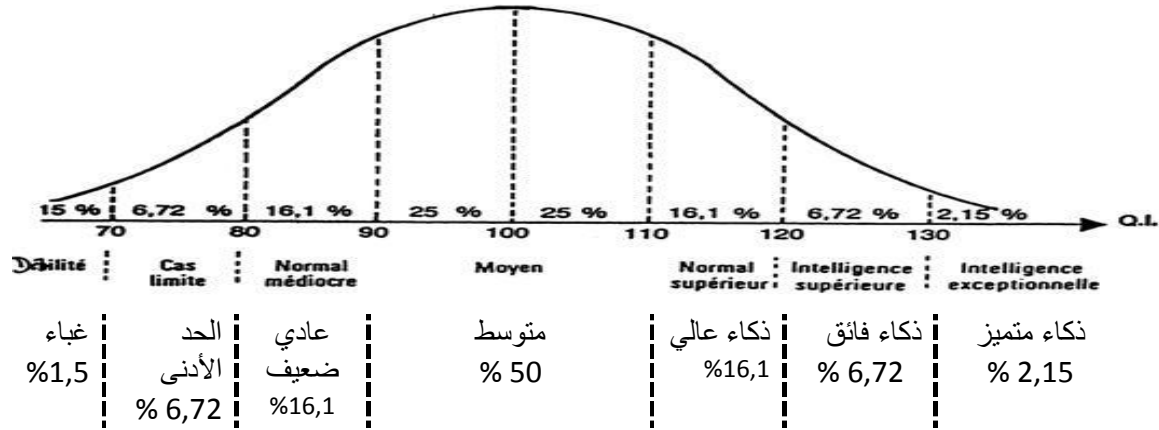
⁵ أخرجه أحمد - مسند عبد الله بن العباس - حديث رقم 3609.

⁶ قال ابن عبد البر : وما قاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندي أصح والله أعلم وهو قولهم أن ابن عباس رضي الله **عنهما كان ابن ثلاث عشرة سنة** يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

⁷ هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني. ولد المحدث الجليل بمدينة القاهرة في الثالث والعشرين من شعبان سنة 773هـ، وهو من عائلة فلسطينية الاصل سكنت مدينة عسقلان وهاجرت إلى مصر قبل أن يولد هناك وكان والده عالماً أديباً ثرياً، وأراد لابنه أن ينشأ نشأة علمية أدبية إلا أنه توفي ولم يزل أحمد طفلاً فكفله أحد أقارب والده زكي الدين الخروبي كبير تجار الكارم بمصر، فرعاه الرعاية الكاملة وأدخله الكتاب **فظهر نبوغه المبكر فقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن اثنتي عشر سنة ووصف بأنه كان لا يقرأ شيئاً إلا انطبع في ذهنه.**

التوزيع الفطري و العادي للمؤهلات الجسمية و الذهنية بين الناس في كل الأعمار

فقبل تنمة الحديث عن الفوائد من تربية صغار الصحابة بالمدرسة النبوية الشريفة، لا بد من الإشارة إلى مفهوم علمي مقطوع بصحته¹. و مفاده أن الذكاء – و هو مجموع القدرات و الملكات الذهنية عند كل فرد – و في كل عينة بشرية عشوائية متساوية في السن، و بغض النظر عن و البلد و البيئة الاجتماعية، موزع توزيعاً طبيعياً و فطرياً² على النحو التالي المسمى منحنى كوس³:



حيث يمكن ترجمة حرفي: QI *quotient intellectuel* بـ "نسبة الذكاء"

و الجدير بالذكر هنا هو أن :

- (1) القدرات الذهنية هو مجموع الملكات الفطرية و التي تتم تنميتها بمقدار استعمالها في الحياة اليومية، و منها :
 - الذاكرة و تقاس بالكم المستوعب و المخزن بها من المعارف و مدة المحافظة عليها ضد النسيان
 - ملكة التركيز و تقاس بالمدة. بمعنى المدة التي بالتركيز على شيء لا ينصرف الذهن خلالها إلى غير ذلك الشيء.
 - ملكة الفهم و يقاس بالسرعة، أي المدة التي يستغرقها الفرد في فهم موضوع ما أو مشكل ما
 - ملكة التخطيط للعثور على الحلول المناسبة و الصحيحة للوضعيات الإشكالية و تقاس كذلك بالسرعة
- (2) مجموع هذه القدرات الذهنية الفطرية أو الخلقية تزيد أو تنقص بحسب مقدار استعمالها أو إهمالها طيلة الحياة
- (3) بالجزء المكتسب من تلك القدرات يتحول صاحبها على المنحنى أعلاه إلى اليمين نحو المتفوقين.

¹ يتعذر علي الآن العثور على المصادر العلمية و لكن وجود هذا الرسوم بالشبكة العنكبوتية هو منها و دليل على وجودها.

² En *probabilité*, on dit qu'une *variable aléatoire réelle* X suit une *loi normale* (ou *loi normale gaussienne*, *loi de Laplace-Gauss*)

الترجمة التقريبية: "في علم الاحتمالات" نقول أن العنصر المتغير العشوائي يتبع قانونا طبيعياً (أو قانون التوزيع العادي الغوسي ، و هو قانون لابلاس – غاوس)

و هذا النص من الصفحة بالشبكة التي تُعرّف بـ "قانون لابلاس – غاوس"

³ *La courbe de Gauss*

و هو : **Carl Friedrich Gauss** (1777م الى 1855م) عالم ألماني في الرياضيات و الفلك و الفيزياء.

- (4) و قد تبقى تلك القدرات في مستواها الفطري أو تنقص في غياب استعمالها في الحياة اليومية فيتراجع صاحبها على المنحنى إلى اليسار نحو الضعاف.
- (5) و علاوة على اكتساب المعارف، فمهمة التعليم بالمدرسة هو تقوية تلك القدرات بالاكتساب من خلال تكرار الممارسة التي من شأنها تقوية كل من تلك الملكات على حدة.

و لتوضيح المفهوم الممثل بالمنحنى أعلاه ، إليكم المنحنى التالي، حيث يفترض أن العالم أنشطيين له أعلى نسبة من الذكاء من بين أقرانه في عصره، و هو حاصل مجموع ذكائه الفطري الأولي قبل ولوجه المدرسة من جهة و ما اكتسبه من ذكاءات بالتعلم طيلة حياته الدراسية :

نقطة قياس ذكاء العالم إنشتاين على هذا المنحنى، و هو من العباقرة النادرين في زمانه و بمجمعه، هي 160 نقطة، و ذلك باعتبار المتوسط هو 100 نقطة. و 70 % من الناس هم أصحاب ذكاء متوسط و موزعون نصفين بين الذكاء المتوسط الأدنى و الذكاء المتوسط الأعلى



- (6) و معدل مجموع القدرات الذهنية الفطرية و المكتسبة يظل موزعا توزيعا طبيعيا بهذه النسب المبينة في المنحنى بين أفراد كل عينة بشرية عشوائية.
- (7) الذي يتغير فيه هو تحول الأفراد طيلة حياتهم بفعل الاكتساب عن طريق الممارسة اليومية من نقطة لأخرى على المنحنى.
- (8) و المجتمعات حيث التعليم ضعيف يميل فيها المنحنى إلى اليسار – مع الاحتفاظ بشكله على هيئة ظهر جرس الكنيسة ،

(9) و العكس يقع في المجتمعات حيث التعليم معمم و ناجح، فيميل فيه المنحنى إلى اليمين مع الحفاظ دائماً على هيئته ظهر جرس الكنيسة.



و هذا التوزيع الطبيعي للقدرات الذهنية بين الناس في كل مكان و كل زمان يوافق قوله تعالى: { **أَهُمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** }¹ فقال الطيبري في تفسيره : " قوله تعالى: { **لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا** } معناه ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه , وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل". و لا يتحقق هذا إلا باختلاف القدرات العقلية و الجسدية من فرد لآخر بكل مجتمع. فالطبيب في حاجة للحلاق و الحلاق في حاجة للطبيب و لا يستغني أحدهم عن الآخر. و كل يصل إلى حيث وصل بفعل الفرق بين قدراتهم الفطرية الأولية من جهة و ما زاد عليها من قدرات مكتسبة طيلة الحياة التعليمية من جهة أخرى.

و بالمدرسة النبوية الشريفة المسددة بوحى الله كان يتم تعليم صغار الصحابة في نفس المجلس الشريف من بين كبارهم سنا و قدرا. و لا تجد فيه فرقا في التلقين باعتبار اختلاف السن بينهم، لأنك لا تدري إن كان مجموع الذكاء الفطري و المكتسب عند الصغير هو أعلى من مجموع الذكاء الفطري و المكتسب عند الأكبر منه سنا. فالتعليم السليم هو **المفتوح** على الجميع بنفس الأهمية و نفس الاهتمام، فيأخذ منه كل بقدر ما أودعه الله فيه من قدرات عقلية و ذهنية فطرية علاوة على المكتسبة و ليس باعتبار اختلاف السن بينهم. و هذا من أهم الدروس و العبر التي يجب الأخذ بها في إصلاح تعليمنا.

¹ الزخرف الآية 32

ثمار التربية و التعليم بالمدرسة النبوية الشريفة

و كشاهد على حسن و جودة أثر تربية و تعليم رسول الله ﷺ لصغار الصحابة بهذا المعنى المفتوح على صغارهم و كبارهم سنا في نفس المجلس و في نفس المناسبات و المواقع، من حيث :

(1) الحفظ و العلم و الفقه

- قول ابن عباس رضي الله عنه : "دعاني عمر مع الأكاير ، ويقول لي : لا تتكلم حتى يتكلموا ، ثم يسألني ، ثم يقبل عليهم ، فيقول ما منعكم أن تأتونني بمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه"¹ و قول سعد بن أبي وقاص : "ما رأيت أحضر فهماً ولا ألب لباً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، لقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقول : عندك قد جاءت معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار"²
- و من نفس المصدر قول عائشة رضي الله عنها في حق ابن عباس رضي الله عنه "هو أعلم من بقي بالمناسك" و قال الحافظ ابن حجر : "أخرج ابن سعد بسند صحيح عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال : قال أبو هريرة حين مات زيد بن ثابت : اليوم مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً"³
- و جاء في سير أعلام النبلاء أن ابن عباس رضي الله عنه كان من المكثرين من رواية الحديث ، روى ألفاً وستمائة وستين حديثاً ، خرج له البخاري ومسلم خمسة وسبعين حديثاً ، وتفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثاً ، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث"

(2) التربية الخفية و السلوك المدني و الاجتماعي

- و كمثال و نموذج يُحتذى به في التربية على حسن الخلق بالنسبة لرجال و نساء التعليم في كل مكان و زمان، نستشهد هنا بحب الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً لمعلمهم نبي الله ﷺ لما وجدوا فيه من تودد لهم و رافة بهم و من علم و عمل بما ينفعهم في دنياهم و آخراهم. وهذا ما جاء فيه من
- قول ابن عباس رضي الله عنهما مع صغر سنه " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْخَلَاءَ ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا " فيأبى إلا أن يضع وضوء للنبي ﷺ تكريماً وإجلالاً له ﷺ .
 - و عنه أيضا و في نفس السياق قال رضي الله عنه : "أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَجَرَّتَنِي فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ صَلَاتِهِ خَنَسْتُ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي : « مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخُنْسُ » . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أُعْطَاكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : فَأَعْجَبْتُهُ فِدَاعًا لِلَّهِ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا"⁴
 - و عن الشعبي⁵ قال : "ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا"
 - و قول الحافظ ابن حجر : " أخرج البيهقي بإسناده عن عبد الله بن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال : إنك لتشتمني وفي ثلاث إنني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعلني لا أقاضى إليه أبداً وإن لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي بها سائمة

¹ أخرجه أحمد 1/330.

² أخرجه ابن سعد في الطبقات. 2/369.

³ أخرجه ابن سعد في الطبقات 2/362.

⁴ أخرجه أحمد

⁵ الإمام الشعبي ولد في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21هـ، فقيه و محدث من السلف. إسمه عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي،

ولا راعية وإني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم¹

ففي كل هذه الأحاديث دروس لرجال و نساء التعليم بالنظر لسوء السلوك المدني الذي أصبح اليوم متفشيا في مدارسنا.

(3) الدعاء بالخير لا يعني من الأخذ بالأسباب

و قد يقول قائل أن مثال ابن عباس رضي الله عنه كخريج المدرسة النبوية الشريفة في غير محله كنموذج لتربية و تعليم الصغار في كل مكان و زمان بالنظر لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالتفقه في الدين. فصحيح أن دعاءه صلى الله عليه وسلم كاف لاستجابته سبحانه و تعالى ليكون المدعو له متميزا عن غيره. لكن الله علمنا في كتابه العزيز عدم التواكل، فندعو و يُدعى لنا فننكّل على الله بالأخذ بالأسباب التي هي منه سبحانه و تعالى، و لا نخلد للكسل فننكّل. ففي قصة مريم عليها السلام بعد وضعها لعيسى عليه السلام أوحى إليها سبحانه بهز جذع النخلة حتى تتساقط عليها منها تمارها. و فعلت سيدتنا هاجر نفس الشيء بسعيها بين جبلي الصفي و المروة بحثا عن الماء من قبل أن تجده تحت أقدام وليدها إسماعيل عليه السلام. و مما جاء في الأثر أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

- بعد دعاءه صلى الله عليه وسلم له لزمه و هو صغير ملازمة شديدة حتى أنه كان يبببب عنده أحيانا، فيطلع ويرى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يطلع عليه غيره.
- عدّد من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مصادر التحمل، فكما تحمل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل الحديث عن كبار الصحابة ، فروى عن عمر و علي و معاذ و والده العباس و عبد الرحمن بن عوف و زيد بن ثابت و غيرهم رضي الله عنهم.
- تحمل الشدائد في سبيل تحصيل العلم، فكان يأتي أبواب شيوخه و ينتظر خروجهم فلا يطرق عليهم بابا.

فمن ثمار تربيته صلى الله عليه وسلم لأصحابه صغيرهم و كبيرهم أن تعلموا أنه حتى دعاءه لهم لا يعفيهم من التوكل على الله بالأخذ بالأسباب يقينا منهم بأن كلا من الأسباب و الاستجابة هي منه سبحانه و تعالى.

(4) القيام بواجب التبليغ

من ثمار المدرسة النبوية الشريفة أن ابن عباس رضي الله عنه اقتدى في التبليغ و التعليم بمعلمه سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكثرت تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم و تحملوا عنه الحديث. فروى عنه مائتان سوى ثلاثة أنفس². و قام هؤلاء الذين أخذوا عنه بواجبهم في تبليغ ما سمعوا منه. و لقد عاش ابن عباس رضي الله عنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فترة زمنية طويلة نحو ستين سنة، وفي هذه الفترة الزمنية احتاج الناس إلى علمه، و تكاثر طلاب العلم عليه³.

العبر من التربية بالمدرسة النبوية الشريفة

من أهم العبر في تربية صغار الصحابة رضوان الله عليهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اجتناب استصغار القدرات الذهنية عند الأطفال بالنظر لصغر سنهم.

و من هذا المنطلق يمكن استخلاص الدروس التالية:

(1) فلا علاقة بين سن الطفل و قدراته الذهنية الفطرية.

¹ الإصابة في تمييز الصحابة 334-333/2

² - كما جاء في " التهذيب "

³ الطبقات الكبرى لابن سعد 368/2

- (2) و يجب التعامل مع الطفل في البيت و المدرسة بنفس الجدية التي يتم التعامل بها مع البالغ، لأن ذلك ما يستحقه كما استحقه صغار الصحابة رضوان الله عليهم بين يدي نبي الله صلى الله عليه و سلم.
- (3) فغالبا ما يلتقط الطفل الرسائل الموجهة لغيره من الكبار و يدرك تمام الإدراك مضمونها. و كشاهد على ذلك اهتمامه و تركيزه عند قراءته للقصص المكتوبة للكبار و كذلك الأفلام و المسلسلات سمينها و غثها.
- (4) و ما لم يتمكن الطفل من إدراكه في الرسائل الموجهة للكبار فمن الأكد أنه سيطلب التوضيح بالاستفسار عما غمض عليه فيها و لكن فقط إذا ما وجد البيئة الأسرية و التعليمية التي لا تستصغر قدراته العقلية و لا تستخف بها.
- (5) فليس هناك ما يسمى "الطفل المعجزة" لأن الأطفال المعجزات أكثرهم من بين الأطفال و لكن فقط لا يجدون البيئة الأسرية أو التعليمية الاستثنائية التي تتيح لهم النبوغ و الظهور.
- (6) فمن وراء كل "طفل معجزة" بيئة أسرية أو تعليمية استثنائية من حيث لا تستهين و لا تستصغر ابتداء قدراته الذهنية و العقلية و لا تستخف بها. و هذا ما كان عليه الحال بلا شك بالمدرسة النبوية الشريفة.
- (7) و المطلوب هو أن تصبح البيئات الأسرية و التعليمية الاستثنائية التي يتخرج منها "الأطفال المعجزات" هي القاعدة بكل أو جل البيوت و بكل المدارس.
- (8) فأغلب النوايا يشهدون بأنهم نعموا في صغرهم بالصدفة أو عن قصد من آبائهم بحضور مجالس العلم و ملازمة العلماء.
- (9) و الطفل بطبيعته ميال لمحاكاة الكبار و ليس الصغار.
- (10) و الطفل بطبيعته ميال لرفع التحديات في الوضعيات الحرجة و يفرح بالإنجازات بعد بدل المجهود في تخطيه الصعاب و لا يرضى بتبسيط المشاكل التي تحرمه من رفع تلك التحديات.
- (11) و الإفراط في تبسيط مضامين المقررات الدراسية بدعوى صغر سن الطفل يحرمه من حقه في المعرفة الجادة و الجيدة و يؤخر تنمية قدراته الذهنية الفطرية فيجمدها و يصعب معها تتبعه باقي المستويات الدراسية لاحقا وصولا إلى التعليم العالي، لمن استطاع من بينهم الوصول إليه
- (12) و التعليم اليوم بالمغرب و بالعديد من دول العالم و منها فرنسا على سبيل المثال، التلاميذ فيه ضحايا للإفراط في تبسيط مضامين المقررات الدراسية، الشيء الذي يحرمهم من حقه في المعارف الجدية الضرورية و يعوق تنمية قدراتهم الذهنية الفطرية.
- (13) و تبسيط مضامين المقررات بالمدارس بدعوى صغر سن التلاميذ يقود التوزيع الطبيعي لمجموع القدرات الذهنية الفطرية و المكتسبة بين التلاميذ، فيسوي من الأسفل فنتي المتفوقين و المتوسطين من بينهم بفئة ضعافهم. بعبارة أخرى يؤدي ذلك التبسيط إلى تسطيح مستويات كل التلاميذ من الأسفل، فيتقهقر مستوى المتفوق و المتوسط فطريا إلى مستوى الضعيف من بينهما.
- (14) و أعتقد أن مآل تبسيط مضامين المقررات بمدارسنا بدعوى صغر سن التلاميذ هو السبب الرئيسي فيما خلص إليه المجلس الأعلى للتعليم ببلادنا، حيث قال : " ما تزال عدة نقائص بيداغوجية و تنظيمية قائمة؛ فجودة التعلّات الأساسية، (القراءة، الكتابة، الحساب، والتحكم اللغوي)، وطرائق التدريس، والمعينات الديداكتيكية تظل محدودة بالنسبة للتلاميذ الذين يتمكنون من البقاء في المنظومة. وكمثال على ذلك ضعف التحكم في اللغات، مع نسبة هامة من التلاميذ الذين لا يتقنون لغة التدريس (العربية)، على الرغم من استفادتهم من 3800 ساعة من تعلم اللغة العربية على امتداد مراحل التعليم الإلزامي"¹

¹ الصفحة 7 من "ملخص التقرير السنوي 2008 للمجلس الأعلى للتعليم"

الخلاصة

بحكم تجربتي الطويلة بالتعليم أعتقد أنه سيراً على المنهج النبوي الشريف في تربية صغار الصحابة رضوان الله عليهم يجب بالبيت و لا سيما بالمدرسة تقدير عقول الأطفال حق قدرها بغض النظر عن صغر سنهم. و يقتضي ذلك اجتناب الإفراط في تبسيط مضامين المقررات التعليمية، و تحاشي التعامل مع أبنائنا و بناتنا بالمدارس و كأنهم معوقون ذهنياً. و تدهور مستوى التلاميذ المشار إليه في التقرير المذكور أعلاه و ما التكرار و الهدر المدرسي الذي يكثر الحديث عنه، إلا مجرد أعراض لأفة الإفراط في تبسيط مضامين المقررات من فرط الاستخفاف الغير مقصود بعقول تلاميذ مدارسنا بدعوى صغر سنهم. فهذه هي باختصار أهم عبرة الواجب استخلاصها من تربية و تعليم صغار الصحابة رضوان الله عليهم بالمدرسة النبوية الشريفة، و الله أعلم.

المصطفى حميمو

hmimous@hotmail.com

[الصفحة الرئيسية](#)